جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد السابع والثمانين/ السنة الواحدة والخمسون

جمادى الأَوَّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأَوَّل ٢٠٢١/١٢/٣٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد: السابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون جمادى الأوّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأوّل ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأَنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أَحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينتز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أَحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتورة أَسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أَحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أَحمد محمود – مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعة:

مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
الترميز في نماذج من شعر بشار بن بُرْد عمر محمد عبدالله و صالح محمد أرديني	25-1
حديث الطاعون ((إذا سمعتم الطاعون بأرض...)) قراءة بلاغية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية أسماء سعود إدهام الخطّاب	39 -26
الاحتراس في سياق أحاديث المعاملات في صحيح البخاري (ت 256هـ) إسراء غانم محمد عبدالله و عدنان عبدالسلام الأسعد	56 -40
نظام تسمية الشخصيات غير الرئيسة في رواية مدينة الله (﷿) كوثر محمد علي محمد صادق جبارة و عمّار أحمد عبد الباقي الصفار	99 -57
المصطلحات المزدوجة عند البغدادي(175هـ) إسراء عبد المحسن السنبسيّ و إبراهيم الحمداني	135-100
الخطاب الإلهي للمرأة آيات الأحكام والقصص القرآني أنموذجًا . دراسة لغوية تحليلية . نور رياض نزار و أحمد إبراهيم خضر اللهيبيّ	161 -136
بناءا (فعّل, وتفعّل) ودلالتهما في سورة المائدة علي محمود الشرابي و هلال علي محمود	192-162
الاستراتيجية مفهومًا أدبيًا عباس حسين السبعاوي وآن تحسين الجلبي	212 -193
الروابط اللغوية والأساليب البلاغية الحجاجية في أدب الأطفال عند طلال حسن رفل حازم العجيلي و أحمد عدنان حمدي	239 -213
فاعلية المكان المغلق: في شعر قيس بن الملوح واثق شاكر و نهى محمد عمر	270 -240
مصطلحات علم البيان في شرح ديوان ابي تمام للخطيب التبريزي(502هـ) أحمد سليمان الكوياني و أحمد يحيى الدليمي	301 -271
جملة صلة (اللّائي واللّاتي) في القرآن الكريم - دراسة في الأبنية والتراكيب- شيبان أديب رمضان الشيباني	343 -302
تناسخ الاستبداد في رواية فارابا دراسة سيميائية محمد عبد الواحد عبدالحميد	360 -343
فن التوقيعات في عصر صدر الإسلام – دراسة تحليلية – مهند يونس رشيد	386 -361
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
المذهب المالكي وأثره في تغيير عادات مجتمع السودان الغربي فائز فتح الله عبدالوهاب محمود و بشار أكرم جميل	424 -388
مشاركة حزب الاستقلال المغربي في ائتلاف الحكومة 1977-1981 كريم سالم حسين البدراني * و رابحة محمد خضير	442 -425
نواب بيروت والقضايا الاجتماعية 1943- 1958	466 -443

وسام أَلطاف عبدالحميد خضير و جاسم محمد خضير الجبوري	
السلطان عبد العزيز ووصاية أَحمد ابن موسى (باحماد) عليه عمر محمد طه عاشور و صفوان ناظم داؤد	467- 495
منصب إِمرة الأُمراء من الظهور إِلى الانهيار (324_334هـ/935_945م) قتيبة أَحمد عبدالله	596- 518
بحوث علم الاجتماع	
المواقع الإِلكترونيَّة للقنوات الفضائية ودورها في تنمية الصحة الإِنجابيَّة دراسة ميدانية في مدينة بغداد فراس عباس فاضل البياتي	519- 539
جدلية النمو السكاني وأَزمة السكن دراسة تحليليَّة في الديموغرافية الحضريَّة نادية صباح الكبابجي	540- 560
الهولوكوست بين الوعي بالتاريخ والحداثة الغربية عند زيجمونت باومان حسين ذنون العلاف	561- 598
بحوث المعلومات والمكتبات	
التخطيط الاستراتيجي لإِعادة تأهيل المكتبة المركزية لجامعة الموصل دراسة حالة زبيدة حازم سالم و سمية يونس الخفاف	599- 648
بحوث علم الفلسفة	
نظرية الخلق بين الجود والصدور عند أَبي البركات البغدادي أَحمد مهدي تيك* و عثمان قره دنيز	649- 674
بحوث الشريعة والتربية الاسلامية	
الإِمام ابن حجر الهيتمي في التفسير سورة هود أَنموذجًا صفا نشوان الطائي و عمار يوسف العباسيّ	675- 713
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس	
اشتقاق شبكات الأودية المائية من نماذج الارتفاع الرقمي SRTM باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ((حوض نهر الخابور في الجانب العراقي أَنموذجًا)) صباح عمر سليمان البرواري و ليث حسن عمر	714- 738

CC BY

المذهب المالكي وأثره في تغيير عادات مجتمع السودان الغربي

فائز فتح الله عبدالوهاب محمود * و بشار أَكرم جميل*

تأريخ التقديم: 2020/8/16 تأريخ القبول: 2020/9/22

المستخلص:

كان للمذهب المالكي في السودان الغربي دور كبير في إِصلاح المجتمع السوداني وهذا كان بفضل الفقهاء المالكية الذين أَسهموا مساهمة فاعلة في توعية المجتمع والقضاء على الطبقية والعنصرية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، فقد كان الفقهاء المالكية يقدمون النصائح إِلى الحكام والمحكومين على سواء، وقاموا بإزالة الفوارق الطبقية بين الناس التي كانت مبنية على لون وجنس وجاه شخص فصارت فيما بعد مبنية على التقوى والإِيمان، والتغيير الحاصل في المجتمع لم يشمل الأحرار فقط بل شمل العبيد وذلك بتحريرهم من العبودية عن طريق الإِسلام فمثلاً الذي يضرب عبدهُ متعمداً عليه أن يعتقهُ، وكذلك ان كفاءة الوطء في رمضان تكون عتق رقبة، والحنث في اليمين يكون كفارتهُ عتق رقبة ومن الصيغ الأخرى لتحرير العبيد هي حالة حدوث ظواهر.

الكلمات المفتاحية: الطبقية، الصدقة، المريض.

المقدَّمة :

للمذهب المالكي دور كبير وواضح في التأثير على توجيه المجتمع الأَفريقي وتصحيح مساره، فبعد اعتناق السكان للإِسلام بدأت تحركات فقهاء المالكية لتوعية الرعية وحكام البلاد على السواء بمضامين الإِسلام الحقيقية، مما زاد من حبهم للدين الإِسلامي وتعلقهم به وتمسكهم بمذهب الإِمام مالك، وانعكس المذهب على جميع فئات المجتمع، كما كان لتسلم رجال المذهب وظائف دينية وإِدارية دور أَساس في خدمة المجتمع الأَفريقي.

* طالب ماجستير/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل .

* أُستاذ/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل .

أولا: المذهب المالكي

ينسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الصاري إمام دار الهجرة، ولد الامام مالك في المدينة المنورة سنة (93هـ/711م)، وتوفي (179هـ/795م) [1]، وكانت المدينة المنورة دار حديث واسناد فكان اهل الفتوى في المدينة المنورة من التابعين[2]، وتتلمذ الإمام مالك على يد عدة شيوخ منهم ابن هرمز الذي توفي سنة 117هـ/735م[3]، وربيعة الرأي الذي كان بصيراً بالرأي وكان حافظاً للسنة توفي سنة (136هـ/753م) [4]، ومن تلاميذ الامام مالك الذين اسهموا في نشر المذهب عبد الله بن وهب (ت197هـ/812م) [5] وأسد بن فرات بن سنان (ت213هـ/828م) وهو مصنف الأسدية في فقه المالكية[6] وأمتاز الفقه المالكي بمميزات هي مرونة اصوله وربطها مع بعضها البعض ليخرج من بينها فقهاً ناضجاً منسجماً مع احكام العقول ومتماشياً مع ما يتلقاه الناس بالقبول، وهو بهذا يتفق مع جمهور العلماء [7] ومراعاة المصلحة من أي طريق أتت سواء كانت قياساً

---

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص 102.

(2) للمزيد عن التابعين في المدينة المنورة. ينظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن بن خلفون الاندلسي، أسماء شيوخ مالك بن انس، تحقيق: محمد زينهم عرب، (د/م: د/ت).

(3) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره- ارائه وفكره، دار الفكر العربي، ط2، (د/م: 1947م)، ص 111.

(4) خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، ط15، (بيروت: 2002م)، ج3، ص17.

(5) يوسف بن حسن بن احمد بن عبد الهادي الصالحي جمال الدين ابن المبرد الحنبلي، تذكرة الحفاظ وتبصرة الايقاظ، تحقيق: اللجنة المختصة باشراف نور الدين طالب، دار النوادر، (سوريا:2011م)، ص 142.

(6) الزركلي، الاعلام، ج1، ص 298.

(7) هاشم خليل الزلمي، أسباب اختلاف الفقهاء، دار السلام، (دمشق: 2008)، ص 33.

او استحساناً او مصلحة مرسلة [1] كما اعتمد الأمام مالك على اقضية الصحابة وفتاويهم في تعريف غاية الشريعة فضلاً عن تعريف عناصر نموه واتساع فقهه وتنوع طريق المعالجة للمسائل الاجتماعية والمشاكل المعقدة التي تحل بالناس بين مدة وأخرى[2]. وامتاز كذلك بالبعد عن الفقه الافتراضي إذ يمتاز فقه الامام مالك بالبعد عن الافتراضيات وكان لايفتي الا بما يقع[3]. كما اتصف بدعوته إلى التيسير والتخفيف [4] كل هذه المميزات ساعدت على نشر مذهب الامام المالكي ليس فقط في بلاد الحجاز بل في المغرب والاندلس والسودان الغربين ومن الأسباب التي دعت إلى انتشار المذهب المالكي في المغرب هي جهود سحنون[5] فقد تتلمذ على يد كثير من علماء المذهب وزار مصر والشام والمدينة ومكة المكرمة[6]، وامتاز سحنون في الفقه البارع والورع الصادق والصراحة في الحق، وكان حافظاً للعلم وتولى القضاء سنة 234ه/848 م وكان عمره 74 سنة واستمر قاضياً ست سنوات وكان لايأخذ

(1) نشوان عادل صديق عليوي البدراني، انفرادات الامام مالك عن الائمة الثلاثة (ابي حنيفة والشافعي واحمد) في النكاح والطلاق دراسة فقهية مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الأمام الأعظم قسم الدعوة، 2011، ص 39.,

(2) الزلمي، أسباب اختلاف الفقهاء، ص39-40.

(3) محمد بلتاجي، منهاج التشريع الإسلامي في القرن الثاني الهجري، دراسة أصولية مقارنة لمصادر الاحكام عند الائمة، دار السلام، (القاهرة: 2004)، ج2، ص468-469.

(4) محمد بن محمد ابي حامد الغزال، احياء علوم الدين، دار المعرفة، (بيروت: د/ت)، ج1، ص 129.

(5) سحنون: الامام العلامة فقيه المغرب أبو سعيد عبد السلام التنوخي القيرواني المالكي قاضي قيراون صاحب المدونة ويلقب بسحنون ارتحل وحج لازم ابن وهب وابن القاسم حتى صار من نظرائهم. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير اعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة: 2006)، ج9، ص 462.

(6) نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، الى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، (تونس: 2004م)، ص 47.

أجراً [1]. ويعود الفضل لسحنون بنشر المذهب المالكي في المغرب[2] وكان للرحاة دور في نشر المذهب المالكي فقد قال سحنون لابنه الذي أراد الحج "الطريق المرتحل من المغرب إلى الحجاز محفوفه برجال مالك وبعلماء المالكية" [3]. وكان للعنصر العربي دور في نشر المذهب المالكي في المغرب والذي وصل مع الفاتحين الأوائل يتناسب وعروبة المذهب المالكي[4]وكان لبعض سلاطين المغرب دوراً في انتشار المذهب في بلادهم وفي بلدان أخرى كالأندلس والسودان الغربي[5]. أما سبب إذ كان السكان على الفطرة ويرغبون بالعيش بسلام [6] والسبب الداخلي الاخر هو ملائمة المذهب مع سكان السودان الذين يتمازون بالحساسية المفرطة تجاه سعيهم الحثيث والجدي في تتبع اثار الرسول(ﷺ) والابتعاد عن البدع والاهواء، وكانت أصول المذهب المالكي توافق الواقع الأفريقي والأعراف الموجودة في تلك البلاد[7] ومن أسباب الانتشار هي انتشار كتب الفقه المالكي في السودان الغربي التي كانت تلائم بيئتهم وقد اعتمدوا في هذا التفضيل على المدخل البيئي[8] أما العوامل الخارجية لانتشار المذهب منها التأثير المغربي فقد توجه اهل المغرب إلى السودان لنشر الإسلام وعبروا الصحراء الكبرى التي لم تقف حاجزا امام حركة المغاربة نحو

(1) محمد بن احمد بن تميم التميمي المغربي الافريقي أبو العرب، طبقات علماء افريقية وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: د/ت)، ص 101-102.

(2)أبو إسحاق بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس، دار الرائد العربي، (بيروت: 1970م)، ص157.

(3) القاضي عياض، تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، (تونس:1968م)، ص 77،18،48.

(4) الهنتاتي، المذهب المالكي، ص86.

(5) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص22.

(6) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت: 1981م)، ج1، ص 424-425.

(7) الهنتاتي، المذهب المالكي،ص64.

(8) محمد أبو محمد إمام، سيادة المذهب المالكي في افريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية، منشور ضمن اعمال مؤتمر السلام في افريقيا، (الخرطوم: 2006)، ص9.

السودان الغربي[1]. وكان تمسك سكان المغرب الإسلامي في الإسلام دافعا كبيرا لنشر المذهب المالكي[2] وكان للرحلات العلمية ورحلات الحج دور في نشر المذهب المالكي المالكي فقد خرج مسلموا السودان الغربي في رحلات جماعية للخروج للحج من اجل تأدية المناسك وزيارة المسجد النبوي غير مكترثين بالمعوقات والصعاب وكان الملوك وامراء الحواضر الإسلامية السودانية يقومون بالاشراف الفعلي على تلك الرحلات فضلا عن رعاية شؤون الحجيج مادياً، وصار خروج المسلمين ملوكاً وجماعات من السودان الغربي إلى الحج واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة في المغرب ومصر والحجاز وتأكيد لروح الاخوة الإسلامية التي فرضها الإسلام[3].

ثانياً: أثر المذهب المالكي على بنية المجتمع السوداني:

أدى ظهور فقهاء المالكية في المجتمع الأفريقي إلى إعادة صياغة بناء ذلك المجتمع وفق أسس قوية ومتينة قائمة على ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فبعد ان كان المجتمع قائم على تقديس الحكام ورفع مكانتهم لمصاف الالهة، فضلاً عن سيطرة الكهنة والسحرة على أبناء المجتمع عبر تخويفهم من الحكام ومنعهم من التمرد والعصيان، كما ساد المجتمع الظلم والقهر واستعباد البشر ولاسيما الضعفاء منهم، إلا ان كل تلك الأمور استبدلت بظهور الإسلام ودخول السكان والحكام فيه، ووصول فقهاء المالكية إلى السودان الغربي، مما أدى إلى بناء مجتمع إسلامي قويم، وأولى المهام التي اوكلت لفقهاء المالكية تمثلت في توحيد المجتمع والقضاء على التبعية والفئوية وتصحيح بنية المجتمع، وتقديم النصائح للعامة والخاصة، فحينما قتل

(1) محمد امين المؤدب، جوانب من الصلاة الثقافية بين المغرب وغرب افريقيا، ندوة التواصل الثقافي، منشورات كلية الدعوة، (طرابلس: 1999م)، ص588.

(2) أبو العباس احمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، حقق تحت اشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: د/ت)، ج2، ص 169.

(3) شوقي عطا الله الجمل، الحضارة العربية الإسلامية في غرب افريقيا –سماتها ودور المغرب فيها، مجلة المناهل المغربية، ع7، السنة الثالثة، 1976م، ص 134.

اسكياداؤد أحد الأشراف خطأ سنة (999ه/1583 م) ندم وأخذ يبكي أياما[1] وعزم على صوم الدهر، وعندما جمع العلماء واستفتاهم في الاستغفار لهذا الذنب العظيم قالوا له: " ان تفزع إلى رسول الله (ﷺ) وتهرب وتدخل في حرمته وتستشفع به (ﷺ) واذا لم تقدر فلك دية في الشرع وقدروا الدية بثلاثين نفساً يعطيها لأخ القتيل ولما سئل أخ القتيل عما يفضله من الأموال اختار الارض فأعطاه ثلاث ضياع بعبيدها "[2].

لقد عمل ابناء المذهب المالكي على تقويم سلوك اعلى فئة في المجتمع وهم الحكام، فأقتربوا منهم لتقديم النصح والإرشاد وتوجيههم لأعمال الخير، فقد حظي هذا المذهب ورجاله بمكانة كبيرة لدى الطبقة الحاكمة وحاشيتها وقادة الجند ورجال الدولة وحكام الاقاليم، وكانت هذه الفئة أقل الفئات عددا ولكنها أكثرها سطوة وجاها وثراء، وكان بلاط دولتي مالي والسنغاي الإسلاميتين يعج بالفقهاء الذين حظوا بمنزلة كبيرة لدى الحكام وصاروا مقربين منهم كالفقيه ابو عثمان الدكالي (ت 749هـ/1348م) الذي كان معاصراً لمنسا موسى (ت 738هـ/1337م) [3].

وعملية توحيد المجتمع شملت الاندماج السلمي بين سكان السودان ومن وفد اليهم من المغرب الإسلامي الذين انحدر منهم عدد من الفقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي، فقد ضمت الصحراء الفاصلة بين السودان والشمال الأفريقي أكبر تجمعات بربرية مثل لواتة وزناتة وصنهاجة وما تبعها من جماعات وعشائر متعددة بسبب التجارة وطرقها، وقد كان لصنهاجة الدور الاهم في السيطرة على الطرق التجارية الغربية في الصحراء، فصارت مسكونة ببطون تلك القبيلة مثل (لمطه وجزولة وجدالة ومداسة وبني وارث)[4]، التي كان لها حضور واضح في القرى والمدن

(1) كعت، تاريخ الفتاشفي اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر :هوداسدولافوس، (باريس : 1913 م)، ص 18 – 19، 116.

(2) كعت، المصدرالسابق، ص 117.

(3) ابن بطوطة، تحفة النظارفي غرائب الامصار وعجائب الاسفار، اعتنى به : درويش الجويدي، شركة ابناء شريف الانصاري للنشر والتوزيع والطباعة، (بيروت : 2007 م)، ج 2، ص 283.

(4) البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، (د. م : 1992 م)، ج 2، ص 847.

المتاخمة لبلاد السودان مثل (صنهاجة وإدرار وأودغستوبوغرات)[1]، ثم توغلت القبائل البربرية جنوباً في بلاد السودان نتيجة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية[2]، وقد ورد إلى بلاد السودان الغربي فقهاء المالكية من بلاد المغرب واستقروا هناك، قضاة ورجال ادب وفي الوقت نفسه كانوا يعملون في الاعمال التجارية ولا يقتصرون على الوظائف الرسمية وكانوا وسطاء بين المغاربة والسودانيين، والجمع بين التجارة والعلم من خصائص الحضارة الإسلامية في السودان الغربي في شتى العصور[3]، ومن هؤلاء ابا عثمان سعيد الدكالي (ت 749هـ/1348م) الذي سكن مدينة بيتي (عاصمة مالي) خمسة وثلاثون سنة[4].

وبعد أن كانت العصبية القبلية تلعب دوراً كبيراً ولاسيما قبل الإسلام في تكوين المجتمع، وتمثل ذلك في سيطرة أقارب الحكام على دفة الحكم، فكانت المناصب حكراً على الأقارب المخلصين والحاشية والأمراء والنبلاء وقواد الفرق العسكرية وحكام الأقاليم[5]الا أن انتشار الإسلام اثر بشكل كبير في المجتمع الأفريقي، فقد لعب ممثلاً بالمذهب المالكي دوراً جوهرياً في صياغة صورة المجتمع وصار إتقان الفقه المالكي اداة لنيل المناصب الدينية العليا وارتفاع المكانة الاجتماعية وللتدليل على أهمية العلم والمذهب المالكي في الارتقاء للهرم الاجتماعي، وكان الأب يوصي ابنه فيقول له: "العلم شيء حسن فكن لهذا طلب وابدأ بالنحو ثم الادب واذا اردت الحصول على مكسب وجاهافعليك بفهم أصول مالك والفروع واعمل بما حفظت حتى تنال

(1) البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 851؛ العمري، مسالك الابصارفي ممالك الامصار، تحقيق : مصطفى ابو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، (المغرب : 1988 م)، ج 4، ص 60.

(2) ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق : خليل شحاذة، دار الفكر، (بيروت : 1988 م)، ج 2، ص 126.

(3) مرجان، فقهاءالمالكية واثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628 – 1000 ه/1230 – 1591 م)، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة : 2010 م)، ص 191.

(4) العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 59 – 60.

(5) كعت، المصدر السابق، ص 46؛ عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الاوربي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، (الجزائر: 1989 م)، ص 45.

الرتب العالية"[1]، وخير دليل على ارتقاء العلم بأصحابه هو عائلة أقيتو عائلة بغيغ [2] فقد صاروا من أعلام البلاد وابرزهم مكانة، وتقلدوا مناصب في الدولة[3]، ويبدو مما تقدم أن اعتناق الإسلام وفق المذهب المالكي حسم مسألة طبقية المجتمع في توزيع المناصب، اذ كانت هناك عوامل عديدة تتحكم فيه وهي السلطة والجاه والشرف والعلم والقرابة فجاء المذهب المالكي يسهم في رفعة فئات المجتمع وتوحيدها.

ونتيجة للمنهج الذي تبناه المذهب المالكي في السودان الغربي وعمله على رفع حواجز التفرقة في الجنس واللون وتوحد المجتمع تحت راية الإسلام، الامر الذي دفع مؤرخي الغرب للاعتراف بتلك الميزة للمذهب ورجاله وللإسلام قبل كل ذلك، فيشير المؤلف آدم سميث إلى وحدة المجتمع وتماسك بنيته بالقول: "إن كثيرا من الرجال الانجليز الذين يعدون انفسهم مسيحيين طيبين لن يجول بخاطره ما لإقرار بالزمالة مع المسيحيين من سود البشرة، اما المسلمون فلا يفرقون، فالعرب والزنوج والبربر اخوة في الدين ولا يختلط بعضهم بالبعض الآخر في العبادة فحسب وإنما يعاون بعضهم بعضاً عن طيب خاطر في شؤون الحياة اليومية"[4].

وتعلم السودان من الفقهاء المالكية القادمين إلى بلادهم أن جميع المسلمين سواسية، وان التنوع الاجتماعي في بلادهم ينسجم وتعاليم الإسلام، فالجاليتين المصرية والمغربية حظيتا بالاهتمام نفسه في دولة مالي الإسلامية ولم يفضل

(1) ابي العباس احمد الخطيب بن قنفذ، انس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، (الرباط: 1965 م)، ص 107.

(2) عائلة البغيغ: وهي احدى العوائل العلمية التي ظهرت في مجموعة عوائل في الفترة الممتدة مابين النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وحتى النصف الأول للقرن الحادي عشر الهجري في السودان الغربي، وأُشتهر من تلك الاسرة عدة شخصيات أختصت بالفقه ابرزهم محمد بغيغ ومحمود بغيغ. ينظر: مطير سعد غيث، الإسهامات الثقافية لمشاهير العوائل في السودان الغربي، آل اندغ نموذجاً، بحث منشور في مجلة كلية الأداب والتربية بجامعة الزيتونة، العدد 15، 1998، ص 36

(3) السعدي، تاريخ السودان،نشر: هوداس، (باريس : 1964 م)، ص 308.

(4) زناتي، الإسلام والتقاليد القبلية في افريقيا، (بيروت : 1969 م)، ص 247 – 248.

السودان إحداهما على الأخرى لأنهم فهموا أن المسلمين متساوين سواء اكانوا مصريين ام مغربيين ام سودان، والمجتمع السوداني بني على يد الفقهاء المالكية لدرجة انهم صاروا عماد الدولة الإسلامية في السودان الغربي سواء اولئك الفقهاء من السودان المحليين ام من المغاربة المصريين القادمين إلى بلاد السودان، فالقاضي والخطيب (ابن الفقيه، ت 790هـ/1387م) هو الذي أبلغ منسا سليمان (ت 761هـ/ 1360م) بقدوم الرحالة ابن بطوطة إلى عاصمة دولة مالي، كما عمل الفقهاء المغاربة في دولة مالي بالوساطة بين الزعماء السودانيين، ويؤكد ذلك الرحالة ابن بطوطة بالقول: " وفي ايام اقامتي بتكدا توجه القاضي أبو إبراهيم، والخطيب محمد، والمدرس أبو حفص (ت 800هـ/1397م) ، والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان تكدا وكانت قد وقعت بينه وبين التكروري وهو من سلاطين البربر ايضا منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما"[1].

كما اسهم الفقهاء المالكية وعن طريق عملهم في ترتيب بنية المجتمع الأفريقي –عبر استبدال التحية بين المسلمين، فصارت المصافحة يداً بيد دليلاً للأخوة في الإسلام، فبعد أن كان الملك لا يصافح إلا القاضي، صار يصافح كل من يتقدم لمصافحته من الناس[2]، ومن جهة أخرى فإن كلام المؤرخ العمر يحول قيام منسا موسى (ت 738هـ/1337م) بقتل كل من يدخل عليه مرتدياً نعليه سواء اكان عامداً أمساهياً [3]يتنافى مع أخلاق وتقاليد ذلك الملك، فقد كان رجلاً تقياً، ورعاً، طيب العشرة، سخيا[4]،كما أن تلك الفعلة لا تحتاج إلى مثل تلك العقوبة القاسية، وان الكلام المعقول هو ما نقله الجزري[5] من ان اصحاب منسا موسى (ت 738هـ/1337م) لا يدخلون عليه الا وهم كاشفوا رؤوسهم، وهو تقليد مقبول لأن كثير من الناس

(1)ابن بطوطة، تحفة النظار، المصدر السابق ج 2، ص 288.

(2) كعت، المصدر السابق، ص 35.

(3)البكري،مسالك الابصار، المصدر السابق، الباب التاسع، ص 66.

(4)الشكري، الاسلام والمجتمع، المصدر السابق، ص 249.

(5)الجزيري، درر الفوائدالمنظمة في اخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، (القاهرة : 1964 م)،، ص 667.

يكشفون رؤوسهم احتراماً لحكامهم، وقد صارت صفة البساطة والتواضع سائدة لدى الحكام السودان بعد إسلامهم، فقد تقربوا من العامة قبل الخاصة، عن طريق الالتقاء بهم والجلوس معهم، وبعد أن كان سلاطين مالي لا يأكلون إلا بمفردهم[1]، صاروا على عهد دولة سنغاي يأكلون مع خاصتهم، وفي المناسبات مع العامة[2].

وبانتشار الإسلام ايضا تم القضاء على الطبقية بين فئات المجتمع، وصار من الممكن لأي فرد من فئة معينة ان ينتقل إلى فئات اخرى[3]، وتمكن بعض الرقيق من الوصول إلى الحكم وهو ما حصل مع ساكورة [4]، وكافور الإخشيدي[5]وغيرهم الذين الذين التزموا كالأحرار بتعاليم الشريعة الإسلامية[6]، لقد اشاد مؤرخي السودان بمكانة الفقهاء المالكية ودورهم في توجيه أبناء المجتمع، فيشير المؤرخ السعدي عند حديثه عن مدينة جني إلى أن ذلك بالقول: "وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل وبلاد شتى"، كما قال عن مدينة تنبكتو: " مسقط رأسي وبغية نفسي، ما دنستها عبادة أوثان، ولا سجد

(1) القلقشندي، صبح الاعشىفي صناعة الانشا، (القاهرة : د. ت)، ج 5، ص 289.

(2) كعت، المصدر السابق، ص 11.

(3) فتاح، التأثيراتالحضارية الاسلامية على السودان الغربي بين القرنين (8 – 10 ه/10 – 14 م)، (دهوك : 2013 م)، ص 203.

(4)ساكورة: ورد الاسم بصيغ متعددة في المصادر العربية، فقد ذكره القلقشندي باسم ساكورة. ينظر: صبح الاعشى، ج 5، ص 294، كما سماه ابن خلدون ساكورة. ينظر: العبر، ج 6، ص 267. وسماه المقريزي صاكورة. ينظر: الذهب المسبوك، ص 111، وساكورة هو احد موالي اسرة كيتا. ينظر:

Murphy , History of African , p. 117.

(5) كافور: وهو عبد اسود تم احضاره الى مصر وعمره عشر سنين وذلك سنة (310 ه/922 م)، اذ تم بيعه الى محمد بن هاشم وهو احد المالكيين للضياع والذي باعه بدوره الى ابن عباس الكتاب، والذي ارسله كهدية الى محمد بن طغج. ينظر: جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: د/ت)، ج 4، ص1.

(6) قداح، افريقيا الغربية في ظل الاسلام، مطبعة الوحدة العربية، (دمشق : 1960 م)، ص 113.

على اديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار "[1]،ويبدو من تلك النصوص مدى تأثير المذهب المالكي على المجتمع الأفريقي وبنيته الاجتماعية والدينية.

وتلك الصورة التي رسمت للمجتمع السوداني استمرت حتى عصر المؤرخ الوزان الذي قال عن مدينة تنبكتو: " فيها عدد كثير من الفقهاء والقضاة والأئمة، يدفع الملك إليهم جميعا مرتباً حسناً، ويعظم الأدباء كثيراً، وتباع مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر، وتدر أرباحاً تفوق أرباح سائر البضائع "[2].

ولم يقتصر جهد المذهب المالكي على توجيه المجتمع وبنائه على الاحرار فقط بلشمل حتى الرقيق، فالإسلام لم يفرق بين عبد وحر ولا اسود او ابيض، فالاختلاف سنة من سنن الله في خلقه، كما أن تبادل وجهات النظر امر وارد في جميع بقاع الأرض وحول جميع القضايا باستثناء الأمور التي تتعلق بالتوحيد والرسالات السماوية، والتي لا يمكن ابداء الآراء حولها والاختلاف فيها، فضلاً عن عدم تبادل الآراء مع أهل البدع المخالفين للسنة النبوية الشريفة، ويكاد يكون الاختلاف في الآراء متشابه للنظر للأشياء من زوايا مختلفة، فكل منا له تصوراته ووضعه للأمور حسب الزاوية التي نظر منها، فحينما يكون لي رأي في مسألة معينة وحسب نظرتي لها فإن لشخص اخر نظرة مختلفة للمسألة نفسها بسبب نظرته إليها من زاوية اخرى، وذلك الاختلاف في الآراء مشروع ولا يجب ان يفضي إلى النزاع والتمسك بالرأي واعتبار الآراء الاخرى المختلفة معه خاطئة.

لقد عالج الإسلام مسألة تباين الآراء واختلافها عن طريق تشريع نظام متكامل ومتماسك أطلق عليه الله تعالى اسم الشورى بقوله:

(1)السعدي، تاريخ السودان، نشر: هوداس، (باريس : 1964 م)، ص 16، 21.

(2)الوزان،وصف افريقيا،ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط 2، (بيروت : 1983 م). ج 2، ص 167.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، ليقطع الطريق امام الانفراد في الرأي والصراع بين المختلفين، لذا فقد كان الرسول محمد(ﷺ) يسير امور الدولةوفق ذلك المبدأ، فهو حينما يكون القرار في امر الهي يخبر صحابته بالأمر لكي لا يبديأي أحد رأياً فيه، أما حينما يكون الامر من عنده (ﷺ) فان للصحابة دور في إبداء آرائهم كالذي حصل أثناء التخطيط لمعركة أُحد حينما تباينت الآراء حول الخروج من المدينة لملاقاة العدو او البقاء والتحصن فيها للقتال[2].

وربما كان لعهد الخلفاء الراشدين الصورة الأوضح في ظهور الآراء المختلفة، الا ان ذلك لم يمنعهم من أن يختلفوا في الرأي ويتحاورون لحل المشاكل، وربما يكون لتعدد الآراء بينهم جانب ايجابي[3]،فحينما تكون في نظرنا مسألة اختيار خليفة لرسول الله محمد (ﷺ) مشكله معقدة فإنها رحمة واختلاف بسيط في وجهات النظر في رأي صحابته[4].

ومثلما كان هناك آراء عديدة في مسائل مختلفة في الحضارة الإسلامية، فإن هناك تباين في الآراء في مسائل اخرى بين المسلمين ومعاصريهم من الامم والديانات الاخرى، فحينما كان الإسلام يدعو إلى احترام الإنسان و إعطاء العامل أجره والتعاون في زراعة الأرض ومنح الحرية للجميع،كان الإقطاع يسود المجتمع النصراني لاسيما في العصور الوسطى والذي اختلفت حوله الآراء فمنهم من عمل فيه وشجعه ومنهم من عانى منه وحاربه، ولم تكن محاربته سهلة في ذلك الوقت بسبب تغلغله في

---

(1) سورة الشورى، آية (38).

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى،القسم المتمم لتابعي اهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق : زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ط 2، (المدينة المنورة : 1408 ه). ج 2، ص 66 – 67.

(3) صالح احمد العلي، الدولة في عهد الرسول، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: 1988 م)، ج 2، ص 434؛ هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل، (الموصل: 1991 م)، ص 333 – 334.

(4) علي محمد الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، دار المعرفة، (بيروت: 2008 م)، 18.

المجتمع وسيطرته على كافة المفاصل فيه[1]، كما ان نظام آخر ظهر منذ عصور قديمة وعمل فيه كنظام اجتماعي متكامل قُسم المجتمع على اثره إلى سادة وعبيد وسمي ذلك النظام نظام الرق، او كما يسمى من قبل غير المسلمين بالعبودية[2]، وكانذلك النظام السائد في تلك الفترة بسبب اعتماد المجتمع عليه وعلى قدرات الرقيق الجسمانية في مجالات الحياة كافة، لذا فان الغاء ذلك النظام لم يكن بالأمر اليسير[3]، كما ان التعامل مع الرقيق كان يختلف بين شعب وآخر، فمنهم من تعرض للقتل والتعذيب وسمل العيون وتقطيع الاطراف كرقيق الرومان واليونان والهند ومصر القديمةوغيرهم من الشعوب[4]، بينما كانت معاملة الرقيق أفضل عند العرب قبل الإسلام في بلاد الحجاز واليمن فالعقوبات اقل قسوة[5] وأمام كل ذلك ظهر الإسلام بتعاليمه السمحة، وتعامل مع ذلك النظام على أساس كونهحالةاجتماعيةسائدة في المجتمع العربي، لذا فقد أبقى الإسلام على نظام الرق وتعامل معه كتعامله مع بقية المسائل مستخدما التدريج في القضاء عليه[6]، وقد ركزت التعاليم الإسلامية على تجفيف منابعه الكثيرة والمتمثلة برق الحروب ورق الوراثة ورق الدين وغيرها كثير وحصرها في منبعين فقط هما رق الحروب ورق الوراثة، فضلاً عن الحصول على الرقيق عن طريق البيع والشراء، وإبقائه لرق الحرب كان نابعا من أن إلغاء ذلك الباب من ابواب الرق سوف يجعل من اسرى المسلمين عبيد لدى العدو مقابل اطلاق سراح اسرى العدو[7]، الا ان الإسلام في الوقت نفسه عمل على فتح أبواب لتحرير

(1) ابراهيم هاشم الفلالي، لا رق في القرآن، (القاهرة: د/ت)، ص 30 –31.

(2) ابو بكر الجزائري، منهاج المسلم، دار الكتب السلفية، (القاهرة: 1406 ه)، ص 502.

(3) ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1988 م)، مج 17، ص 182 – 183.

(4) الفلالي، لا رق في القرآن،(القاهرة : د/ت)، ص 23.

(5) احمد شلبي، مقارنة الأديان (الاسلام)، (القاهرة: 1967 م)، ج 3، ص 228.

(6) ابو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، دار الفكر، (دمشق: 2017 م)، ص 189.

(7) ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (القاهرة: 1966م)، 1966م)، ج1، ص 397.

الرقيق مما عجل بإنهاء ذلك النظام بشكل تدريجي، فصار لزام على كل من يضرب عبده متعمداً أن يعتقه[1]واذا ما ادعى العبد بأنه حر وأصر على ذلك فهو حر[2]، كما ان كفارة الوطء[3] في رمضان هو عتق رقبة [4]والحنث في اليمين كفارته عتق رقبة[5]، وفي حالة حدوث الظواهر الطبيعية كالخسوف والكسوف فإن التقرب لله تعالى يتم بعتق رقبة[6] فضلاً عن فتحه باب التحرير عن طريق المكاتبة بين السيد وعبده على مبلغ من المال اذا ما سدده العبد فهو حر[7]، كما أن الأمة التي تنجب من من سيدها تصبح أم ولد وتحرر[8]،وهكذا في كثير من الامور،لا بل ان الكلمة التي اطلقت على العبيد كانت تدل على التسامح والمحبة وهي الرِق والتي تعني الرِقة والرفق وحسن المعاملة لأن العبودية لله وحده فقط[9]، ولم يكن هذا الرأي في مسألة الرِق والتعامل الحسن للمسلمين مع رقيقهم خاصاً بجنس معين بل مع جميع اجناس الرقيق ومنهم الرقيق السودانكما اطلق عليهم المؤرخون العرب نسبة لسواد

(1) مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج 11، ص 127. وقال بعض السلف: " لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك فاذا عصى الله فاضربه على معصية تذكره الذنوب التي بينك وبينه ". ينظر: الذهبي، كتاب الكبائر، حققه واخرج أحاديثه: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، (دمشق: د/ت)، ص 204.

(2) مالك بن انس بن مالك الصاري، المدونة، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1994 م)، ج 7، ص 75.

(3) الوطء: وهو ان يجامع الرجل المرأة وهي محرمة عليه مع جهله بالحكم، مما يجعله معذورا شرعا في فعله، وسمي بهذا الاسم لأنه نكاح استعلاء وغالبا ما يكون مع الإماء. ينظر: ابن انس، المدونة، ج، ص202.

(4) موفق الدين ابو محمد عبد الله بن قدامة، المغني، (بيروت: 1972 م)، ج 3، ص 65؛ ابو بكر محمد السرخسي، المبسوط، مطبعة السعادة، (مصر: 1324 ه)، ج 3، ص 140 – 141.

(5) القرطبي، بداية المجتهد، ج 1، ص 429.

(6) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بغداد: 1986 م)، ج 2، ص 79.

(7) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: 1972 م)، ج 18، 18، ص 101.

(8) القرطبي، المصدر السابق، ج 2، ص 428.

(9) ابو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، (بيروت: 1997 م)، ج 10، ص 123.

الوانهم[1]، فمع بدايةالدعوةالإسلامية كانت مكة وبقية انحاء الجزيرة العربية حافلة بأعداد كبيرةمن الرقيق السود الذين مالبث كثير منهم ان تعرف على تعاليم الإسلام الداعية للتسامح مع الجميع وأنها لا تفرق بين العبد وسيده فالناس جميعاً سواسية، وان تنوع القوميات وتعدد الألوان مرحب به من قبل الإسلام والمسلمين في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[2] فعرفوا انه الدين الحق فأقبلوا اليه بقوة ودخلوا فيه ولم يتركوه رغم التعذيب الشديد الذي تعرضوا له[3]، لقد كان في مقدمة أولئك الرقيق الذين حصلوا على حريتهم بعد دخولهم الإسلام سيدنا بلال الحبشي ﷺ والذي ذاق التعذيب على يد مشركي مكة، فقد عمل سيدنا ابو بكر الصديق ﷺ على شرائه وتحريره ليصبح واحداً من الصحابة الأجلاء حاله حال أي صحابي كان في الجاهلية سيداً في قومه، وفي ذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا بلال)[4]، لا بل ان سيدنا بلال تميز عن غيره من الصحابة بأن صار مؤذن الرسول (ﷺ)، وكان له شرف الصعود على ظهر الكعبة الشريفة والآذان عند فتح مكة دون غيره من الصحابة[5]، فضلاً عن ذلك فإن عدداً من الرقيق لاسيما السود كانوا قد رفضوا العودة إلى بلادهم بعد تحريرها وذلك بسبب المعاملة الحسنة التي كانوا يلقونها في بلاد الإسلام على يد سادتهم الذين امتثلوا لأقوال الرسول محمد (ﷺ) حينما نصحهم بالحسنى برقيقهم قائلا: (إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم

(1) الزهري، كتاب الجغرافية، ص 93؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 272.

(2) سورة الحجرات، آية 13.

(3) محمد بن عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة: 1955 م)، ج1، ص 321.

(4) العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، (بيروت: د/ت)، ج 7، ص 99.

(5) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، (القاهرة: 1964 م)، ج 1، ص 180.

فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم)[1].

لقد جاء الإسلام ليؤكد على أن الأصل هو الحرية لجميع البشر عن طريق الإيمان بأن البشر متساوون أمام الله تعالى، ولهذا اعتمد المسلمون أسلوب التعامل بالحسنى مع الارقاء[2]، كما أن المجتمع المسلم لا ينظر إلى الناس من خلال الأرض أو اللون أو العنصر او الطبقة، من خلال العقيدة بالنسبة للمسلمين، ومن خلال الرابطة الإنسانية بالنسبة لغير المسلمين[3]، وقد شهد اعداء الإسلام بحسن تلك المعاملة سواء في المشرق او المغرب الإسلامي، فقد وصف الرقيق احوالهم في الدولة الإسلامية بأنه لا يمكن التفريق بين العبد وسيده لكون السيد يلبس رقيقه ملابس مشابهة لملابسه ويتيح له تقليده في كل شيء[4]، ويؤكد كاتب اوربي آخر ان الرق عند المسلمين يختلف عن الرق عند النصارى، وان حال الارقاء في الشرق افضل من حال الخدم في أوربا لأن الرقيق في الشرق هم جزء لا يتجزأ من اسرة السيد بل ان الرقيق يستطيعون الزواج من بنات سادتهم بعد التحرير[5]، وانطلاقاً من مبدأ المساواة في كل شيء بين السيد وعبده في الإسلام فقد ارتدى الرقيق الملابس التي يرتديها الاحرار في صدر الإسلام وما تبعها من عصور فكان العبد في المجتمع الإسلامي يشابه سيده في ملبسه ومشربه ومسكنه أثناء مدة رقه او بعد تحوله إلى مولى، بل وصلت هذه المساواة بين السادة ورقيقهم حد جعل الإماء يتبرجن ويلبسن

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، ج 2، ص 83. وكان من حق العبد على سيده ان يوفر له ماء طهارته او تراب تيممه، وبقية الأمور فضلا عن طعامه وشرابه. ينظر: شمس الدين محمد بن محمد الشربيني، مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج، تحقيق: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، 0 القاهرة: 1958 م)، ج 3، ص 260.

(2) عباس محمود العقاد، داعي السماء – بلال بن رباح –، (القاهرة: 1945 م)، ص 72.

(3) يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 2001 م)، ص 99.

(4)دافدسن، افريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة : جمال محمد أحمد، (بيروت : 1963 م)، ص 17.

(5) غوستاف لوبون، حضارة العرب، (القاهرة: 1956 م)، ص 376.

الحلي اكثر من سيداتهن وقد برز ذلك أثناء العصر العباسي[1]، وقد ذكر ذلك بعض التنصيريين المعادين للإسلام، اذ قال زويمر: " إن بين الأوروبي والأفريقي هوة تفرق بينهما، والمسلمون تمكنوا من إزالة هذه الهوة التي كانت بينهم وبين الزنوج "[2]، ولم يكتف المسلمون بإزالة الفوارق بينهم وبين رقيقهم حسب بل كانوا لا يميزون بين رقيقهم وافراد عوائلهم[3]، فضلاً عن ذلك فقد اشار المستشرق آدم سميث إلى المسألة نفسها بقوله: " ان كثيرا من الرجال الانجليز الذين يعدون انفسهم مسيحيين طيبين لن يجول بخاطرهم الإقرار بالزمالة مع المسيحيين من سود البشرة، أما المسلمون فلا يفرقون، فالعرب والزنوج والبربر أخوة في الدين ولا يختلط بعضهم بالبعض الاخر في العبادة فحسب وانما يعاون بعضهم بعضا عن طيب خاطر في شؤون الحياة اليومية "[4].

ومن خلال ملاحظة دور الرقيق السياسي نرى استلام بعضهم مناصب سياسية وإدارية قد تصل إلى حد منصب السلطان كما حصل في دولة مالي حينما اغتصب ساكورة الحكم من أبي بكر حفيد ماري جاطه الذي حكم البلاد من (674 – 684 ه/1275 – 1285 م)[5]، فتسلم ساكورة الحكم في تلك السنة وكان رجلاً ذا إمكانيات إمكانيات عالية وله شعبية كبيرة في أوساط الماليين[6]، إذ صار في نظر الشعب الحاكم القوي الذي اعاد إلى مالي هيبتها وحرص أشد الحرص على مد نفوذها[7].

---

(1) محمد بن عبدوسالجهشياري، الوزراء والكتاب، (مصر: 1938 م)، ص 251 ؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد، (القاهرة: 1924 م)، ص 251 ؛ ابن القيم الجوزية، اخبار النساء، (بغداد: 1989 م) ص 22.

(2) انور الجندي، الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب، مطبعة الرسالة، (القاهرة: د/ت)، ص 94.

(3) المقريزي، الذهب المسبوكفي ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق : جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، (د/م : 2000 م)، ج 1، ص 411.

(4) زناتي، الاسلام، المصدر السابق ص 247 – 248.

(5) طرخان، دولة مالي الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة : 1973 م)، ص 68.

(6)murphy , History of African , 1972 , p 177.

(7) طرخان، دولة مالي، المصدر السابق، ص 69.

ومن الأعمال التي قام بها رجال المالكية لتثبيت دعائم المجتمع في السودان الغربي تقديم المساعدة والصدقات للفقراء وكل من يحتاجها من أبناء المجتمع، فاحتل فقهاء المالكية مكانة خاصة لدى العامة في دولتي مالي والسنغاي ولم يكن علم وفقه أولئك الفقهاء فقط هو الذي قربهم من العامة، بل اسهمت كثرة الصدقة والعطاء والزكاة والمساعدات المقدمة من لدن أولئك الفقهاء من تقرب الناس منهم، ومن اولئك الفقهاء الفقيه الزاهد (أبو بكر أحمد بن عمر بن محمد أقيت) الذي توفي سنة (991 ه/1583 م) الذي كان زاهداً تقياً ورعاً معروف الصلاح متين الدين كثير الصدقة والعطاء[1]، وكذلك الفقيه (أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى عريان الرأس) (ت 1020 ه/1611 م) كان زاهداً أخرج من ماله صدقة لله على الفقراء والمساكين وقام بشراء العبيد واعتقهم لوجه الله تعالى[2]، وعمل فقهاء المالكية كوسطاء بين العامة والخاصة كالفقيه (محمد بن محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي) (ت 1002 ه/1593 م) وكان يسعى في حوائج العامة ويضر نفسه لينفعهم ويصلح بينهم، والفقيه (صالح بن محمد اندغم) المعروف بـ (صالح تكن) الذي كان يشفع للمساكين عند السلاطين ولا ترد له شفاعة[3].

وكان الفقهاء ملجأ للعامة من بطش الحكام فكانوا يفرون إلى دار الفقيه سواء كان الإمام أو القاضي اذا تعرضوا للخطر وكانت هذه قاعدة ثابتة وقانونية لا يجوز للسلطة تعديها[4]، ولا يجوز للفقيه أن يطرد من يلجأ إليه، بل عليه أن يقوم بإرشاد الناس إلى طريق الصواب الذي يتلاءم مع الشرعية الإسلامية[5].

---

(1) محمود اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، دار الثقافة الجديدة، (تونس: 1978 م)، ج 1، ص 206.

(2) البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الاسلامي، (بيروت : 1981 م)، ص 111.

(3) السعدي، تاريخ السودان،المصدر السابق، ص 36؛البرتلي، فتح الشكور، المصدر السابق، ص 155.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 36.

(5) كعت، المصدر السابق، ص 97؛ السعدي، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 28.

وقد تعلقت قلوب العامة من الفقراء والمساكين بالفقهاء بسبب الاهتمام بهم أثناء المحن والكوارث، فقد اعتاد الفقهاء على إظهار أعمال البر والخير وكذلك حث الخاصة على تقديم المنح والعطايا والهبات إلى الفقراء، فحينما حدثت مجاعة وراح ضحيتها كثير من الناس قام الفقيه (محمود بن أبي بكر الونكري التبكتي) (930 – 1002 ه/1523 – 1531 م)بجمع التبرعات والمساعدات من الأغنياء في مدرسة الفقيه القاضي (مؤدب محمد الكابري) لتوزيعها على الفقراء والمساكين عند باب جامع سنكرى[1]، وكان الفقهاء يحثون الأسر الحاكمة على تقديم المساعدات للفقراء والمحتاجين، ومنهم الفقيه القاضي (العاقب بن محمود)الذي كان يأخذ من الاسكيا داؤود كل عام اربعة الاف صينية[2]ليقسمها على فقراء المدينة والمساكين[3].

ثالثاً: أثر المذهب المالكي على العادات والتقاليد الوثنية:

حاول فقهاء المالكية جاهدين زرع القيم الإسلامية داخل مجتمع السودان الغربي على مختلف فئاته، فقد كان هذا المجتمع يمتلك كثير من العادات والتقاليد الوثنية، وواجه العلماء كثير من المخالفات الاجتماعية والبدع مثل مظاهر الشرك وغيرها التي توارثوها عن أسلافهم، وكان الفقهاء يمثلون الفئة المثقفة في المجتمع والتي بذلت جهوداً كبيرة وشاقة في مقاومة الفساد ومحاربة المفسدين في البلاد والمحافظة على الآداب العامة في المناسبات والطرقات، وكانت أسئلة فقهاء المالكية إلى الإمام السيوطي[4] وأسئلة الأسكيا محمد (ت944هـ / 1538م) إلى الإمام محمد المغيلي (ت 910هـ/1505م) تحمل كثير من الهموم لاستبيان رأي الدين الإسلامي فيها[5].

---

(1) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 2، ص 279 – 280.

(2) صينية: لم أجد لها تعريفا في المصادر والمراجع وربما تكون بمعنى الكيس الكبير والسلة الغذائية، او الهدية من طعام وملابس.

(3) كعت، المصدر السابق، ص 115.

(4) السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال ابي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان الخُضري الاسيوطي (ت 911 ه). ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 335.

(5) مرجان، فقهاء، المصدر السابق، ص 212 – 213.

ومن العادات والتقاليد الوثنية الاعتقاد بالأساطير والخرافات والقوى السحرية واتخاذ الطلاسم، ومن العادات المتوارثة فيما يتعلق بالمريض الرغبة بمعرفة آجالهم ووقت موت المريض أو شفائه، ولأجل ذلك كانوا يكسرون البيض فوق رأس المريض وينحرون الذبائح تحت اقدامه، كما اعتقد بالسحرة الذين يعملون في التفريق بين المرء وزوجه، ومنهم من يزعم أنه يعرف ما اذا كرهت البهيمة أولادها عن طريق اخذ شيء من شعر رأسها او لحيتها فيبخرونه على تلك البهيمة فيوافق مرة ومرة لا يوافق، ومنهم من يكتب لمن أراد حاجة عند أحد مما جعل أهل السحر ارفع مقاماً واكثر رزقاً، ومنهم اذا سرق ماله أخذ المتهمين فيوقد ناراً ويقيد المتهمين بشيء قصير ويأمرهم بالمشي عليه فيمرون فالذي يسرق تارة تحرقه النار والذي لا يسرق لا تحرقه ولا تمسه، ومنهم من يقول ويعتقد أن بعض الناس يقتلون بعضهم بمس أو مقاربة ويزعمون أنهم يمرضونهم وإذا أعطوهم ما أرادوه داووهم ومنعوا عنهم اذاهم، ومنهم من يمشي بين العوام ويناجي كل من يلقاه: الا اريك رقية العين من اجل المحبة والنكاح ودخلة القلوب والقبول عند السلاطين وامثال ذلك من امور السحر والشعوذة[1]، ويروى أن أحد المشعوذين احضر خابية مملوءة بالماء وقرأ عليها ونادى باسم فأجاب وقال له اخرج الي فخرج شخص من الماء بقدرة الله على شكل الرجل الذي يريد الانتقام منه وجعل الحديد في رجليه وطعنه بالحربة[2].

كما ظهر بين السودان من يدعي أنه يعلم الغيب باستخدام خط الرمل ونحوه[3]، ومنهم من يترصد مواقع النجوم ويترجم وضعها في ذلك المكان الي

(1) السيوطي، المصدر السابق، ص 341 – 343.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص 99.

(3) يستخدم خط الرمل هذا لمعرفة الحاضر والمستقبل وله ست عشرة هالة، واسماء بعضها يرمز للخير والبعض الآخر للشر ومن يرد استعماله يأتي بتراب نظيف ويبسطه على الارض ثم ينقط فيه بالأصابع الوسطى اربعة أسطر من غير عدد بالحذف زوجا زوجا الى ان ينتهي الى الاخر واذا كان زوجا او فردا اثبته ثم يثبت ما تبقى من السطر الاول اولا ومن السطر الثاني بعده الة ان تنتهي الاربعة اسطر فيتكون منها شكل عددي ويستخلص من خلاله الحال والطلب. ينظر: مرجان فقهاء، ص 215.

حوادث معينة ستحدث والبعض الآخر يترجم أصوات الطيور إلى اشياء معينة[1]، وكانت هناك حلقات تعقد في الأسواق ومحلة العرافين الذين يستخرجون العين، وكان أكثر روادها من النساء وعندهم طلاسم للنكاح والبيع والشراء والحروب والمحبة ووجع الرأس والضرس ويزعمون انهم ملوك الدنيا وابناء الانبياء[2].

وقد أنكر فقهاء المالكية تلك السلوكيات وكان لهم موقف تجاه هؤلاء السحرة ومن يتعاملون معهم، فكانوا يحاولون اقناعهم ومن يتعاملون معهم بالبعد عن السحر فاذا فشلت محاولاتهم هذه لجأوا إلى الحكام لتحريضهم على هؤلاء السحرة ويطالبون السلاطين بقتلهم[3]، ويبدو أن امتثال الحكام لنصائح الفقهاء المالكية جاء بسبب مكانتهم الكبيرة لديهم.

كما كانت هناك ممارسات وثنية تؤدى مع العبادات الشرعية بل اختلطت بها واعتقد العامة أنها جزء منها، فهم مسلمون يؤدون فرائض الله تعالى ويعملون على أداء الصلاة والزكاة وتلاوة القرآن والحج وبناء المساجد وطلب العلم ومع ذلك كان بعضهم يعتقد أن هناك من ينفعهم ويضرهم غير الله عز وجل، اذ كان لهم أصنام يتقربون إليها ويذبحون لها، والبعض الاخر يعظم الاشجار ويذبحون عندها الذبائح[4].

وفقهاء المالكية كانوا يستغلون مجالس الوعظ في محاربة هذه السلوكيات الوثنية فضلاً عن الخطب الدينية مثل خطبة الجمعة، كما واجه فقهاء المالكية في مجالس الوعظ السلوكيات الخاطئة ومنها أداء الصلاة بالتيمم فلا يتوضأ احدهم الا نادراً ولا يغتسلون من الجنابة إلا نادراً ولا تصوم نسائهم ولا تصلي الا إذا كبرت ويدخلون النساء المسجد ومعهم عصا[5]، كما واجه فقهاء المالكية حالات الغش في الأسواق فقد يقوم بعضهم بخلط اللبن بالماء، ويخلط اللحم مع الشحم ومنهم من يقوم

(1) المغيلي، اسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي، تقديم : عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر : 1974 م).، ص 34.

(2) السيوطي، المصدر السابق، ص 339.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، المصدر السابق، ج 5، ص 291.

(4) المغيلي، المصدر السابق، ص 35.

(5) السيوطي، المصدر السابق، ص 338.

بنفخ الماشية قبل بيعها[1]، ومنهم إذا اشترى سلعة حازها وذهب بها قبل أن يدفع لصاحبها ثمنها، فإذا ندم اولم يبعها بربح طلب منه صاحبها ثمنها وقال له خذ سلعتك او اصبر حتى نبيعها[2]، ومنهم من يطفف المكيال والميزان بالزيادة والنقصان ومنهم من يغش الذهب والفضة بالنحاس، او يأبى انينزف- أي يستخلص-التبر من التراب[3].

كما انتشر بين بعضهم النميمة والتجسس والبخل والجبن والقسوة والظلم والفساد وقطع صلة الرحم وشهادة الزور والحلف بالآباء والأمهات والتكبر وأكل الحرام[4]، وكثير منهم كانوا يأكلون الجيف والكلاب والحمير[5].

ومن العادات التي رفضها واستقبحها الرحالة ابن بطوطة لبعض أهالي السودان عادة عدم احتشام بعض النساء من الرجال، وكذلك عدم احتجاب المرأة عن أخ زوجها وابن عمه ا وصاحبه مع مواظبتهن على الصلاة، كما كان لديهن الاصدقاء والاصحاب من الرجال الأجانب، ويدخل الرجل داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك، كما كان للرجال صواحب من النساء الأجنبيات[6].

كذلك انكر الرحالة الفقيه عادة العري و كشف عورات النساء الحرائر والاماء وان كانت بنت القاضي، وتلك عادة كانت مشهورة ومطردة بينهم[7]،ويبدو أن حالة التعري التي قصدها الرحالة ابن بطوطة تتمثل في عدم لبس الخمار وتغطية الوجه او

---

(1) المغيلي، المصدر السابق، ص 63.

(2) السيوطي، المصدر السابق، ص 339؛المغيلي، اسئلة الاسكيا، ص 63.

(3) هذا الامر معروف في ايام غانة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اذ توافرت في كتب الرحالة العرب على ان ملوك في السودان الغربي كانوا يصطفون لأنفسهم السبائك الذهبية ولا يتركون للناس الا التراب الذهب (التبر) للتعامل، وهم يفعلون ذلك لكي يبقى للذهب اهميته , ينظر: مرجان، فقهاء، ص 217.

(4) السيوطي، المصدر السابق، ص 338.

(5) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 2، ص 282.

(6) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 2، ص 272.

(7) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 2 ص 282؛المغيلي، المصدر السابق، ص 63، السيوطي، الحاوي للفتاوى، ص 339.

لبس قفازين في يد المرأة والتي اعتاد على رؤيتها في بلاد المغرب الإسلامي اثناء حكم المرينيين.

وهنا افتى فقهاء المالكية للأسكيا محمد (ت944هـ / 1538م) بما يقتضيه الشرع تجاه عادة العري والاختلاط، وبالفعل كان الاسكيا الحاج محمد اول حاكم سوداني يرغم المرأة على اتباع قواعد السلوك والآداب الإسلامية الحميدة في الزي، وفي عدم الاختلاط بالرجال إلا في حدود الشرع، وبلغ في صرامة مراقبة سلوك الرعايا لضمان الالتزام الإسلامي أن رجال الشرطة في عهده كانوا لا يترددون في إلقاء القبض على أي رجل يشاهد في صحبة امرأة أجنبية عنه اوفي الحديث معها ثم يوضع في السجن[1]، وهكذا نجح فقهاء المالكية في مواجهة الاختلاط في بلاد السودان.

كما كان عند بعض ملوك السودان عادة وطء النساء الجميلات بدون زواج[2]، فقد كان من عادة بعض اهل السودان انه اذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء قدمها لهم وطوءة فيملكها بغير زواج، وقد ذكر فقهاء المالكية للملك منسا موسى (ت 738هـ/1337م) أن هذا لا يحل للمسلم شرعا فقال: منسا موسى ولا للملوك فقالوا له ولا للملوك فقال لهم والله ما كنت اعلم وتركه[3]، ومن عاداتهم ايضا انهم كانوا يتناكحون بغير صداق، ومنهم من حرفته ان يتزوج المرأة الغنية ويعيش على اموالها ولهذا كان أولياء الامور لا يزوجون بناتهم الا لصاحب مال ونسب ولا يزوجون الفقير حتى لو كان صالحاً تقياً[4]، وهنا جاء دور الفقهاء المالكية الذين قاموا بثورة تصحيح كبيرة بعد وفاة سني علي سنة (855 ه/1451 م) الذي أحدث

(1) جوزيف كي زيربو، تاريخ افريقيا السوداء، ترجمة: عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، (ليبيا: 2001 م)، ص 145.

(2) العمري، مسالك الابصار،المصدر السابق، ج 4، ص 119 – 120.

(3) القلقشندي، المصدر السابق، ص 296.

(4) السيوطي، المصدر السابق، ص 242.

انتكاسة للشريعة الإسلامية، فقد قاموا بعملية إصلاح كبيرة في المجتمع إلا أنهم لم يستطيعوا القضاء عليها جميعها[1].

ومن العادات السيئة التي كانت منتشرة في المجتمع العادات الخاطئة بالميراث، فهم لا يتوارثون على الكتاب والسنة، وإنما كان يأخذ مال الميت ابن اخته، وكانوا على هذا الحال منذ القدم[2]، وفيهم من يقر الميراث كما فرضه الله تعالى، ولكن اذا كان في الورثة كبير استولى على جميع التركة ويدعي أنه بمنزلة الاب، ويقوم بإعطاء الزوجة نصيبها ويستولي هو على المتبقي من غير تأخير ولا تقديم ولا رضا احد منهم ولا يتعرض له أحد في ذلك مدة حياته، حتى إذا ما استولى على تركته الاقوى ايضا، وبعضهم لا يورث الزوجة ولا غيرها من النساء[3].

ومن عاداتهم السلبية كذلك إن منهم من كان يقوم باسترقاق الاحرار ويدعوهم بالعبيد، فإن مات من ادعى عليه ذلك لم يقسموا ماله بين ورثته لانهم رقيق في نظرهم وان قلت لهم هؤلاء احرار كادوا يقتلونك ويقولون: هؤلاء عبيد اتباع السيف ومنهم من يسخر منهم ويأخذ منهم الاموال ولا يضرهم في انفسهم، ومنهم من يبيعهم بالتنافس والتنازع[4]، وهنا كان للفقهاء المالكية دور في محاربة هذه العادات السيئة بعد استشارة الاسكيا محمد (ت944هـ / 1538م) لهم[5].

---

(1) المغيلي، المصدر السابق، ص 242.

(2) السيوطي، المصدر السابق، ص 337.

(3) وهنا يؤكد الباحثون ان البشرية كانت في اطوار سابقة تعتبر قضايا الارث والإستخلاف مرتبطة بالأم، لأنها ربة المنزل واليها يعود جميع افراد العائلة وقد كان ذلك أكثر وضوحا، كما كانت البشرية تمر بأطوار لم ينتظم فيها الازواج فقد يكون للأم عدد من الازواج في آن واحد، وفي مثل هذه الحالة فإن الام وحدها التي تمثل الاصالة في انحدار جميع افراد العائلة من نسلها. ينظر: مرجان، فقهاء، ص 220.

(4) السيوطي، المصدر السابق، ص 337.

(5) فاي منصور علي، أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الاسلامية، (889 – 935 ه/1493 – 1529 م)، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، (طرابلس: د/ت)، ص 64.

ومن العادات السيئة التي تصدى لها الفقهاء المالكية تلك التي تحدث اثناء جلوس الملك في القصر الملكي في غاو يوم الجمعة مثل الأسكيا داود (913 – 991 ه/1549 – 1582م)، إذ كان يجلس حوله عبيده الخصيان يقفون على راسه وهم نحو سبعمائة وعلى كل واحد لباس حرير فإذا أراد الأسكيا ان يبصق اسرع اليه بعض الخصيان ويبسط له كمه فيبصق الأسكيا فيه ثم يمسح فاه من النخام، ولقد انتقد هذا التصرف الفقيه (أحمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر بن عمر) أثناء وجوده في العاصمة وتكلم الفقيه أحمد مع الاسكيا داؤود (ت990هـ/1582م) في هذا الأمر[1].

فضلاً عن ذلك فقد كان السودان يؤدون بعض الأفعال التي لا تنسجم وصورة المسلم في المجتمع، فحينما ينعم السلطان على رجل أثناء وجوده في مجلسه، عليه أن يضع التراب على رأسه، وان يقوم بالدحرجة من بداية المجلس حتى نهايته[2]، كما ان العطاس في مجلس السلطان يعد جريمة كبيرة يعاقب عليها فاعلها، فاذا اراد احد الحاضرين ان يعطس فعليه ان ينبطح ارضا ويغلق فمه حتى لا يخرج صوته، اما اذا عطس السلطان فعلى الجميع وضع ايديهم على صدورهم، وبوجود فقهاء المالكية تم تنبيه الناس إلى ضرورة ترك تلك الأفعال[3].

رابعاً: أثر المذهب المالكي على الاحتفالات والأعياد:

لم يكن انتشار الإسلام في السودان الغربي وظهور المذهب المالكي هناك ميسراً وسهلاً، فقد كان طريق فقهاء المذهب ومهمتهم صعبة جداً، فالمجتمع يعيش في حالة من الضياع عبر استسلامه لمعتقدات دينية بدائية تقوم على تقديس أمور غريبة ترتبط بشكل كبير بالأجداد وارواحهم التي عدت اللاعب الأساس في معتقداتهم، وامام تلك المعتقدات كان لابد من أن تقوم احتفالاتهم الدينية على مبدأ معتقدهم نفسه،

(1) كعت، المصدر السابق، ص 114.

(2) العمري، مسالك الابصار،المصدر السابق، ص 68؛ جوزيف، الاسلام، ص 149.

(3) دنيس بولم، الحضارات الافريقية، ترجمة: علي شاهين، (بيروت: 1974 م)، ص 79.

فهناك مجموعة من الأعياد التي يحتفل بها معتنقو الديانات الوثنية في أفريقيا، ويؤدي السكان في ايام تلك الأعياد طقوساً خاصة يرافقها ربما تقديم القرابين.

وكثير من تلك المناسبات والأعياد تقوم على التقرب من الأسلاف والآلهة بشكل عام، ويحتفل الأفارقة الوثنيون ببداية موسم الحصاد، اذ يقوم أفراد قبيلة (الموندي) باستدعاء الأسلاف في ذلك الموسم، ويبدأ الاحتفال في شهر ايلول/سبتمبر والجزء الثاني في شهر كانون الاول/ديسمبر حينما تحصد اول الحبوب، ويحمل شخص مختص بالاتصال بالأسلاف تلك الحبوب ويصعد على تل ليكلم الاسلاف ويعلمهم ببدء موسم الحصاد، وما أن يتم الانتهاء من الكلام يذهب مجموعة من ابناء القرية لصيد الحيوانات لتقديمها قربانا للأسلاف، اذ يطبخ ارز مع زيت النخيل ولحوم تلك الحيوانات، كما يسكبوا كمية من الماء على الارض ليشرب الأجداد ويغسلوا أيديهم قبل الأكل ثم يوضع الطعام على ورقة موز ويوضع على المحجر المقدس[1].

فضلاً عن ذلكفإن للأفارقة مناسبة مهمة تسمى طقس الأجداد (عيد تذكر الأسلاف) يحتفل فيها بأرواح الاجداد، فالاعتقاد السائد لدى سكان غرب أفريقيا ان أرواح أسلافهم تعيش داخل المياه او بقربها، فيذهب الكاهن إلى النهر عند بداية طقوس الأجداد في شهر أيار/مايو حاملاً القدر والحصير المخصصين لتلك الطقوس، ثم يبدأ الكاهن بدعوة الأسلاف للخروج من الماء والدخول في القدر الذي ما أن يقتنع انها قد دخلت فيه حتى يعود إلى القرية لاستكمال الاحتفال في المعبد، فيضع القدر على المذبح المخصص للقرابين فيتولى الكاهن اداء الصلوات الخاصة بتقديم القرابين التي تبدأ بشكر الأجداد على حفظ القرية في السنة الماضية والطلب منها بتكرار الحماية والحفظ في هذه السنة[2].

---

(1) عاصم محمد حسن محمد، الديانات التقليدية في غرب افريقيا (مدخل دراسي)، مجلة قراءات افريقية، ع 3، (كانون الاول/ديسمبر 2008 م)، ص 25.

(2) محمد، الدياناتالتقليدية في غرب افريقيا (مدخل دراسي)، مجلة قراءات افريقية، ع 3، (كانون الاول/ديسمبر 2008 م).، ص 25.

وفي قبيلة (الايقو) في بنين[1] يقدم السكان على نبش قبور موتاهم لإخراج جماجم أسلافهم بعد سبعة شهور من موتهم إذا كانوا نساء وتسعة شهور بعد موتهم اذا كانوا رجال، وتغسل الجماجم جيداً وترش عليها دماء قرابين من الديوك الصغار، ثم تحفظ الجماجم في مكان معين انتظارا ليوم الاحتفال بتذكر الأسلاف، ففي ذلك اليوم تجلب الجماجم موضوعة في أوعية ومغطاة بقماش ابيض نظيف، ويوضع على الآنية التي تضم جماجم الرجال قبعة وسيفين، وعلى الآنية التي تضم جماجم النساء حلي نسائية، وفي اليوم التالي تؤخذ الآنية في موكب مهيب يقوده السدنة إلى حفرة تسمى حفرة المحيط اذ تدفن الجماجم ثانية، وفي القبيلة نفسها يقام طقس آخر لتقديم القرابين بعد دفن تلك الجماجم، اذ يقيم الناس خياماً حول النهر ويذبحوا عددا من القرابين الحيوانية ويطبخونها ثم يضعون لحمها داخل الخيام التي يدخلها السادن مع أرواح الأسلاف وهو يدعوهم لتناول ذلك الطعام، وحال انتهاء الأسلاف من الطعام حسب ظنهم يخرج السادن يبلغ الناس بمدى فرح الاسلاف بتلك الوليمة[2].

فضلاً عن ذلك فقد اهتم الأفارقة بالاحتفال باستجلاب المطر وهو عيد له تقاليده الموروثة، ففي قبيلة (الهوتنوت)[3] يجتمع كل ابناء القبيلة للاحتفال سنويا بالمطر فيذبحون الأضاحي طلباً للمطر وتكون القرابين في تلك الحالة نعاج حبلى لا يجوز ذبحها في احتفال أخر[4]، ولدى قبائل شرق أفريقيا يتمسك بالماء والزيت

(1) بنين: مدينة في ولاية (إدو) جنوب نيجيريا، وهي عبارة عن ميناء على ضفاف نهر بنين، ويعود تأسيسها الى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، اذ انتشر الاسلام فيها عن طريق المرابطين ثم الموحدين. ينظر: جمال عبد الهادي محمد مسعود، المجتمع الاسلامي المعاصر (افريقيا)، دار الوفاء، (القاهرة: 1995 م)، ص 180.

(2) محمد، الديانات، المصدر السابق، ص 26.

(3) الهوتنوت: وهم احد شعوب افريقيا جنوب الصحراء التي اقترن اسمها بالبشمن المشابهين لهم بالشكل والثقافة، والصفات الزنجية لدى الهوتنوت اكثر وضوحا من البشمن، وموطن الهوتنوت الاصلي هو منطقة البحيرات الكبرى في شرق افريقيا، لكنهم هاجروا بعد ذلك نحو الجنوب. ينظر: محمد، الشعوب والسلالات، ص 37.

(4) بولم، الحضارات الافريقية، ترجمة : علي شاهين، (بيروت : 1974 م)، ص 112 – 113.

وبعض الاحجار العطرية عند طلب المطر ويتم تلطيخها جميعاً بمحتويات امعاء ماعز يضحى بها ثم يتبعها مراسيم يقوم بها رجل المطر بوضعه كمية من الأعشاب الخضر وبعض الاحجار البيض في صحن ثم تغسل الحجارة بالماء وتوضع فوق حجر صخري كبير وتطحن حجارة المطر مع زيت السمسم ويضحى بماعز سوداء بالقرب من الحجر الكبير وتلطخ الحجارة بمحتويات معدة الضحية، وبهذه الطريقة يعتقدون أن المطر قادم بسرعة، وبعدها يأكل رجل المطر ومساعدوه وكبار السن الضحية فوق الحجر[1].

وفي حالة حصول جفاف وجدب في البلاد يقوم السكان بجمع عظام وتكوينها كالتل وإضرام النار فيها ثم يدور مقدموا القربان حولها رافعين ايديهم إلى السماء يتكلمون بكلمات تساعد في تقديرهم على نزول المطر والاستسقاء، كما ان للسودان شجرة يقدسونها ويحتفلون بها في كل عام عبر بقائهم تحتها لمدة ثلاثة ايام يرقصون ويلعبون حتى تتساقط أوراقها على رؤوسهم، ويعدون ذلك نوعا من القربان لتلك الشجرة [2]، والشخص الذي يحق له الاتصال بأرواح الأسلاف وتقديم القرابين لها هو شيخ القبيلة الذي يعد بمرتبة الكاهن في نظر ابناء القبيلة وحلقة الوصل بينهم وبين أرواح أسلافهم[3]، وبسبب تلك المكانة التي يتمتع بها شيخ القبيلة فان السكان في السنغال يقدسون ضريحه، ويقدمون له القرابين المتمثلة بالألبان والمياه التي تصب

(1) محمد عدنان مراد، المجتمعات الأفريقية أصولها تاريخها وشعوبها وثقافتها، اتحاد الكتاب العرب، (د/م: 1995 م)، ص 298.

(2) المسعودي، أخبار الزمان من ابادة الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء من العمران، دار الاندلس للطباعة والنشر، (بيروت: 1996 م)، ص 88.

(3) هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، مراجعة: محمد عبد الله دراز، دار الكتاب المصري، (القاهرة: 1956 م)، ص 28؛ زناتي، الاسلاف في المعتقدات الأفريقية المعاصرة وعند العرب قبل الاسلام، مجلة التراث الشعبي، ع12، (العراق: 1975م)، ص 70 – 71.

على قبره، فضلاً عن تقديم الذبائح [1]، وفي هذا تقول (Margret Greel): " يحتفظ الاسلاف بكل انفعالاتهم ورغباتهم كما كانوا من قبل، فهم يشعرون بالجوع والعطش، يغضبون ويسرون، وينتقمون اذا ما اهملوا، ويرضون اذا ما عوملوا بالاحترام اللائق ووفاء الأبناء تجاه الأسلاف هو الذي يقيهم من الجوع والعطش اذا قدمت القرابين بصورة منتظمة "[2].

وتعد العلاقة بين الاسلاف والأبناء في النظام القبلي البدائي في غرب أفريقيا أعظم علاقة كونها تقوم على تبادل المنفعة، فالموتى هم الرؤساء الفعليون في الاسرة والقبيلة ككل[3] , لذا فإن التقرب منهم كان يستدعي تخصيص هياكل او اماكن وان كانت صغيرة داخل الدار للتعبد فيها وتقديم القرابين لتلك الأرواح، وربما تكون على شكل محراب يتولى خدمته اكبر افراد الاسرة سناً، وغالباً ما ينصب محراب لكل ميت في داره يتكون من أوعية من الطين وأصداف مجوفة وعيدان يابسة[4]، فيما يضع البعض قرابينهم على عصا يغرسونها بالقرب من حوش الدار، ويقيم آخرون هيكلاً من ثلاثة أحجار صغيرة في فناء الحوش او يزرعون نباتاً بصلياً معيناً للغرض نفسه[5]، وامام تلك الحالة من الضياع والاحتفالات الوثنية كان لابد لفقهاء المالكية والمذهب عموماً من الوقوف بحزم وتوجيه المجتمع نحو الاحتفال بالأعياد الدينية الإسلامية وترك الوثنية منها، فقد منع الاحتفال بالمناسبات والاعياد الوثنية وإلغاؤها جميعاً، وحصر الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى وسمح المسلمين لأنفسهم فضلاً عن العيدين الاحتفال ببعض المناسبات كليلة القدر وليلة الاسراء والمعراج وغيرها من المناسبات الدينية، ففي السودان الغربي احتفل السكان واحيوا تلك الليلة وصام

(1) سيلا، المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل، مطابع الدوحة الحديثة، (قطر : 1406 ه)، ص 42.

(2) محمد، الديانات، المصدر السابق، ص 20.

(3) محمد جابر عبد العال الحسيني، في العقائد والأديان، (القاهرة: 1966 م)، ص 22.

(4) ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ترجمة : أحمد صادق حمدي، مراجعة : محمد عبد الله دراز، دار الكتاب المصري، (القاهرة : 1956 م)، ص 24.

(5) زناتي، الاسلاف، المصدر السابق، ص 70.

معظمهم اليوم السابق لها، ويقوم الفقهاء المالكية بقراءة القرآن الكريم والمدائح النبوية، كما كانوا يقومون بشرح اهمية هذه الذكرى، وموقف ابو بكر الصديق والصحابة منها، وكذلك موقف المرتدين والمشركين من رسول الله محمد (ﷺ) ويكون ذلك في المساجد او اماكن اخرى في القرية او المدينة[1].

كما شارك الفقهاء في الاحتفال بالمولد النبوي، وكان هناك حرص على الاحتفال بهذا اليوم وهو الثاني عشر من شهر ربيع الاول من كل عام، ويكون الاحتفال بالتزيين بأحسن الثياب، وطبخ الطعام وانشاد القصائد في مدح الرسول (ﷺ)، ولا يكون في هذا الاحتفال تجاوزاً على الشرع ويكون بعيداً عن البدع[2]، ويقوم فقهاء المالكية بإلقاء الدروس والارشاد والوعظ وكذلك الدروس الدينية حول سيرة خير البرية (ﷺ) وفي المساجد والجوامع، وانشاد المدائح النبوية بأبيات عربية في ساحات المساجد حتى الثلث الأخير من الليل[3].

ويحتفل السودان يوم الثامن عشر من شهر ربيع الاول بيوم العقيقة، اذ يتوجه الناس إلى جامع سنكرى لمشاركة فقهاء المالكية في دعاء ختم القرآن الذي يختم احياء لذكر مولد النبي (ﷺ)[4].

كما كان لفقهاء المالكية دور مهم في استعداد مسلمي تلك البلاد لاستقبال شهر رمضان تطبيقاً لتعاليم السنة النبوية الكريمة، فكانوا يحثون الناس ان يكثروا من العبادة وفعل الخير والتردد إلى المساجد في أوقاتها، فضلاً عن حثهم على قراءة القرآن الكريم وتدريسهم المسائل الشرعية في كل يوم من ايام شهر رمضان ولا سيما المدن الكبرى مثل تنبكتو وجني وجاو، ومن بين الفقهاء المالكية الذين اتبعوا ذلك الاسلوب الفقيه الحاج (احمد بن عمر بن محمد اقيت، ت 943هـ/1536م) وكذلك (ابو حفص عمر بن الحاج احمد، ت 1006هـ، 1597م) والفقيه (محمد

(1) ابي فارس عبد العزيز القشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق: الدكتور عبد الكريم، مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، (الرباط: 1977 م)، ص 264.

(2) التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، (طرابلس : 1999 م)، ص 16.

(3) كعت، المصدر السابق، ص 60.

(4) مجهول، تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، (د/م: د/ت)، ص 157.

الامين بن القاضي سيد احمد، ت 1215هـ/1800م) الذي كان يدرس كتاب الشفا للقاضي عياض لمدة ثلاث سنوات في رمضان[1].

وعندما يقبل شهر رمضان فان الاهالي يستعدون له بشتى اصناف الاطعمة والحلوى، وفي ليلة القدر يسهر الاهالي في هذه الليلة العظيمة، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك وذلك بالعبادة والذكر والارشاد في المساجد حتى الفجر، اما الاعتكاف في العشر الاواخر من شهر رمضان فموجود بكل مسجد[2].

الخاتمة:

1-كان للمذهب المالكي دور كبير وواضح للقضاء على العصبية القبلية في المجتمع وكذلك القضاء على الطبقية التي كانت تنخر في المجتمع من حيث تولي أقارب الحاكم للمناصب من الأُمراء والنبلاء ولكن بعد انتشار الإسلام وتمكن المذهب المالكي صار لا يتولى المناصب إلَّا من اتقن الفقه المالكي، وكان الأَب يوصي ابنه بأن يتعلم النحو والآدب والفروع حتى ينال الرتب العالية.

2-تعلم السودان من الفقهاء المالكية أن جميع المسلمين سواسية وأن التنوع الاجتماعي في بلادهم ينسجم وتعاليم الإسلام.

3-بانتشار الإسلام والمذهب المالكي صار بأي فرد من الرقيق الوصول إلى أي فئة من فئات المجتمع أو إلى الحكم لأنهم التزموا الشريعة الإسلامية كالأحرار.

4-كان للفقهاء المالكية دور في تقديم المساعدات والصدقات للفقراء وكل من يحتاج من أبناء المجتمع.

5-وكان المذهب المالكي دوراً في القضاء على العادات والتقاليد الوثنية منها عبادة الأصنام والذبح لها وكذلك عدم توريث المرأة والنميمة والبخل والتجسس والظلم والفساد وقطع صلة الأَرحام وشهادة الزور وأكل الحرام وغيرها من العادات السيئة التي قضى عليها الإسلام والفقهاء المالكية.

(1) السعدي، المصدر السابق، ص 33، 38؛ مجهول، تذكرة النسيان، المصدر السابق، ص 54.

(2) كعت، المصدر السابق، ص 180؛ مجهول، تذكرة النسيان،المصدر السابق، ص 84.

References

1. Abbas Mahmoud al-Aqqad, "Da'i al-Sama' - Bilal ibn Rabah," Cairo: 1945, p. 72.
2. Abi Fares Abdulaziz al-Qashtali, "Manahil al-Safa fi Ma'athir Mawalina al-Shurafa," edited by Dr. Abdul Karim, Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, (Rabat: 1977), p. 264.
3. Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Qurtubi, "Al-Jami' li Ahkam al-Quran," Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut: 1988, Vol. 17, pp. 182-183.
4. Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail al-Bukhari, "Sahih al-Bukhari," Baghdad: 1986, Vol. 2, p. 79.
5. Abu al-Abbas Ahmad al-Khatib ibn Qunfudh, "Uns al-Faqir wa 'Az al-Haqir," edited by Muhammad al-Fasi and Odolf Furr, University Research Center, Rabat: 1965, p. 107.
6. Abu al-A'la al-Mawdudi, "Tafsir Surat al-Nur," Dar al-Fikr, Damascus: 2017, p. 189.
7. Abu al-Fadl Jamal al-Din ibn Manzur, "Lisan al-Arab," Beirut: 1997, Vol. 10, p. 123.
8. Abu Bakr al-Jaza'iri, "Minhaj al-Muslim," Dar al-Kutub al-Salafiyyah, Cairo: 1406 AH, p. 502.
9. Abu Ishaq ibn Ali al-Shirazi, "Tabaqat al-Fuqaha," edited by Ihsan Abbas, Dar al-Raed al-Arabi, Beirut: 1970, p. 157.
10. Abu Jafar Muhammad ibn Jarir al-Tabari, "Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Quran," Beirut: 1972, Vol. 18, p. 101.
11. Al-Bakri, "Al-Masdar al-Sa'iq," previous source, Vol. 2, p. 851; Al-Amri, "Masalik al-Abasar fi Mamalik al-Amasar," edited by Mustafa Abu Daif Ahmad, Al-Dar al-Bayda' al-Jadida Printing House, Morocco: 1988, Vol. 4, p. 60.
12. Al-Bartali, "Fath al-Shakur fi Ma'rifat A'yan 'Ulama' al-Takrur," Dar al-Gharb al-Islami, Beirut: 1981, p. 111.
13. Ali Muhammad al-Salabi, "Haqiqat al-Khilaf Bayna al-Sahaba fi Ma'arakatay al-Jamal wa Siffin wa Qadiyyat al-Tahkim," Dar al-Ma'arif, Beirut: 2008, p. 18.
14. Al-Jaziri, "Durar al-Fawa'id al-Munazzamah fi Akhbar al-Hajj wa Turuq Makkah al-Mu'azzamah," Salafi Printing House, Cairo: 1964, p. 667.

15. Al-Maqrizi, "Al-Dhahab al-Masbuk fi Dhikr Man Hajja min al-Khulafa' wal-Muluk," edited by Jamal al-Din al-Shayyal, Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah, n.d., Vol. 1, p. 411.
16. Al-Mas'udi, "Akbar al-Zaman min Abadat al-Hadathan wa 'Ajaa'ib al-Biladan wa al-Ghamr bi'l-Ma' min al-'Imran," Dar al-Andalus lil-Tiba'ah wa al-Nashr, (Beirut: 1996), p. 88.
17. Al-Qadi 'Iyad, "Tarajim Aghlabiyya Mustakhraja Min Madarik al-Qadi 'Iyad," edited by Muhammad al-Talbi, Tunis: 1968, pp. 77, 48, 18.
18. Al-Qalqashandi, "Subh al-A'shi fi San'at al-Insha," Cairo: n.d., Vol. 5, p. 289.
19. Al-Sa'di, "Tarikh al-Sudan," published by Hudas, Paris: 1964, p. 308.
20. Al-Sa'di, "Tarikh al-Sudan," same source, p. 36; al-Bartali, "Fath al-Shakur," same source, p. 155.
21. Al-Suyuti: Abd al-Rahman ibn al-Kamal Abi Bakr ibn Muhammad ibn Sabiq al-Din ibn al-Fakhr Uthman al-Khudari al-Asyuti (d. 911 AH). See: Al-Suyuti, Hasan al-Muhadara, Vol. 1, p. 335.
22. Al-Tanbukti, "Nayl al-Ibtihaj bi-Tatriz al-Dibaj," Dar al-Katib, (Tripoli: 1999), p. 16.
23. Al-Wazan, "Wusf Afriqiya," translated from French by Muhammad Hajji, Muhammad al-Akhdar, Dar al-Gharb al-Islami, 2nd edition, Beirut: 1983, Vol. 2, p. 167.
24. Anwar al-Jundi, "Al-Islam wal-Thaqafah al-Arabiyyah fi Mujahadat al-Isti'mar wa Shubuhat al-Taghrib," Matba'at al-Risalah, Cairo: n.d., p. 94.
25. Asim Muhammad Hasan Muhammad, "Al-Diyanaat al-Taqlidiyya fi Gharb Afriqiya (Mudakhkhal Dirasi)," Majallat Qira'at Afriqiyya, Issue 3, December 2008, p. 25.
26. bu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz, "Rasa'il al-Jahiz," Cairo: 1964, Vol. 1, p. 180.
27. Davidson, "Africa Under New Lights," translated by Jamal Muhammad Ahmad, Beirut: 1963, p. 17.
28. Denis Boulm, "Al-Hadarat al-Afriqiyya," translated by Ali Shahin, Beirut: 1974, p. 79.

29. Deschamps, "Religions in Black Africa," translated by Ahmed Sadik Hamdi, revised by Muhammad Abdullah Daraz, Dar al-Kitab al-Masri, (Cairo: 1956), p. 24.
30. Hashim Khalil al-Zulami, "Asbab Ikhtilaf al-Fuqaha," Dar al-Salam, Damascus: 2008, p. 33.
31. Ibn Battuta, "Tuhfat al-Nuzzar fi Ghara'ib al-Amasar wa 'Ajaa'ib al-Asfar," edited by Darwish al-Juwaydi, Ibn Shurayf al-Ansari Publishing, Beirut: 2007, Vol. 2, p. 283.
32. Ibn Khaldun, "Al-'Ibar wa Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi Ayyam al-Arab wa al-'Ajam wa al-Barbar wa Man 'Asharahum min Dhu al-Sultan al-Akbar," edited by Khalil Shhada, Dar al-Fikr, Beirut: 1988, Vol. 2, p. 126.
33. Ibn Saad, "Al-Tabaqat al-Kubra," the completed section of the followers of the people of Madinah and those who came after them, edited by Ziyad Muhammad Mansour, Maktabat al-'Ulum wal-Hikam, 2nd edition, Madinah: 1408 AH, Vol. 2, pp. 66-67.
34. Ka'at, "Tarikh al-Futashi: Akhbar al-Biladan wal-Jiyush wa Akabir al-Nas," published by Hudasadulavus, Paris: 1913, pp. 18-19, 116.
35. Khayr al-Din ibn Mahmud ibn Muhammad al-Zarkali, "Al-A'lam," Dar al-Ilm lil-Malayin, 15th edition, Beirut: 2002, Vol. 3, p. 17.
36. Mahmoud Ismail, "Sociology of Islamic Thought," Dar al-Thaqafah al-Jadidah, Tunis: 1978, Vol. 1, p. 206.
37. Malik ibn Anas ibn Malik al-Sa'ari, "Al-Mudawwanah," Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut: 1994, Vol. 7, p. 75.
38. Marjan, "Fuqaha al-Malikiyah wa Atharuhum fi Mujtama' al-Sudan al-Gharbi fi Ahday Mali wa Songhay (628-1000 AH/1230-1591 AD)," Maktabat al-Thaqafah al-Diniyah, Cairo: 2010, p. 191.
39. Muhammad Abu Zahra, "Malik Hayatuhu wa Asruhu - Arayuhu wa Fikruhu," Dar al-Fikr al-Arabi, 2nd edition, (D/M: 1947), p. 111.
40. Muhammad Adnan Murad, "African Societies: Their Origins, History, Peoples, and Cultures," Arab Writers Union, (Damascus: 1995), p. 298.

41. Muhammad Amin al-Muaddab, "Aspects of Cultural Prayer between Morocco and West Africa," Cultural Communication Symposium, Publications of the College of Da'wah, Tripoli: 1999, p. 588.
42. Muhammad Baltaji, "Minhaj al-Tashri' al-Islami fi al-Qarn al-Thani al-Hijri," a comparative jurisprudential study of sources of rulings among the Imams, Dar al-Salam, Cairo: 2004, Vol. 2, pp. 468-469.
43. Muhammad ibn Abd al-Malik ibn Hisham, "Al-Sirah al-Nabawiyyah," edited by Mustafa al-Saqqa, Ibrahim al-Abyari, and Abdul Hafiz Shalabi, Cairo: 1955, Vol. 1, p. 321.
44. Muhammad ibn Abdus al-Jahshiyari, "Al-Wuzara' wal-Kuttab," Egypt: 1938, p. 251; al-Jahiz, "Al-Muhasin wal-Adad," Cairo: 1924, p. 251; Ibn al-Qayyim al-Jawziyya, "Akbar al-Nisa," Baghdad: 1989, p. 22.
45. Muhammad ibn Ahmad ibn Tamim al-Tamimi al-Maghribi al-Afriqi, Abu al-Arab, "Tabaqat Ulama Afriqiya wa Kutub Tabaqat Ulama Tunis," Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut: D/T, pp. 101-102.
46. Muhammad ibn Muhammad Abi Hamid al-Ghazali, "Ihya Ulum al-Din," Dar al-Ma'arif, Beirut: D/T, Vol. 1, p. 129.
47. Najm al-Din al-Hintati, "Al-Madhhab al-Maliki bil-Gharb al-Islami ila Muntasif al-Qarn al-Khames al-Hijri/al-Hadith al-Ishrin al-Miladi," Tabr al-Zaman, Tunis: 2004, p. 47.
48. Sahnoun: The scholar, jurist, and Malikite theologian of Morocco, Abu Said Abdul Salam al-Tanukhi al-Qairawani al-Maliki, Qadi of Qairawan, author of "al-Mudawwana." He traveled and performed Hajj with Ibn Wahb and Ibn al-Qasim until he became their peer. See: Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman al-Dhahabi, "Siyar A'lam al-Nubala," Dar al-Hadith, Cairo: 2006, Vol. 9, p. 462.
49. Saleh Ahmad Al-Ali, "Al-Dawla fi 'Ahd al-Rasul," Al-Majma' al-'Ilmi al-'Iraqi Printing House, Baghdad: 1988, Vol. 2, p. 434; Hashim Yahya al-Mallah, "Al-Wasit fi al-Sirah al-Nabawiyyah wal-Khilafah al-Rashidah," University of Mosul Printing House, Mosul: 1991, pp. 333-334.

50. Tarikhan, "Dawlat Mali al-Islamiyyah," al-Hay'ah al-Masriyyah al-'Amah lil-Kitab, Cairo: 1973, p. 68.
51. Youssef al-Qaradawi, "Malamih al-Mujtama' al-Muslim al-Ladhi Nanshahu," Muassasat al-Risalah, Beirut: 2001, p. 99.
52. Yusuf ibn Hasan ibn Ahmad ibn Abd al-Hadi al-Salhi, Jamal al-Din Ibn al-Mubrid al-Hanbali, "Tadhkirat al-Hafaz wa Tabssurat al-Ayqaz," edited by the specialized committee under the supervision of Nur al-Din Talib, Dar al-Nawadir, Syria: 2011, p. 142.
53. Zinati, "Al-Islam wa al-Taqalid al-Qabiliyah fi Afriqiya," Beirut: 1969, pp. 247-248.

"The Maliki Doctrine and its Influence on Changing Traditions of Western Sudan Society

Faiz Fath Allah Abdulwahab*
Bashar Akram Jamel*

Abstract

The Maliki school in western Sudan had a great role in reforming Sudanese society, and thanks were due to the Maliki jurists who made an active contribution to educating society and eliminating class and racism that prevailed at the time. The Maliki jurists were providing advice to rulers and ruled alike, and they removed differences Class among the people based on the color and gender of a person and later became based on piety and faith,And that the change in society not only included the free people, but also included slaves by liberating them from slavery through Islam, for example, those people who deliberately strike their servant to release them, and also that the efficiency of intercourse in Ramadan is freeing a neck, and perjury in the right is his penance freeing slaves and other forms of liberating slaves It is the event of phenomena.

Key word : Patient , Charity , Caste.

* **Master Student/Department of History/College of Arts/University of Mosul.**
* **Prof/Department of History/College of Arts/University of Mosul**.